

الأوقاف في السودان الغربي ودورها في تنمية العمل الخيري

Endowments in Western Sudan and Their Role in the Development of Charitable Work

د. عبد الرحمن محمد ميغا*

الجامعة الإسلامية بالنيجر، ammaiga68@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/09/02

تاريخ القبول: 2024/07/31

تاريخ الاستلام: 2024/06/24

ملخص:

يعتبر الوقف من أقدم النظم الإسلامية التي عرفتها المجتمعات المسلمة منذ فجر الإسلام، ويُعد مصدرًا رئيسيًا لدعم المؤسسات الخيرية والعلمية. حيث يساهم الوقف بشكل فعال في تحقيق التنمية المستدامة وتعزيز التكافل الاجتماعي، من خلال تمويل المؤسسات التعليمية، توفير الرعاية الصحية، ودعم الفقراء والمحتاجين، مما يجعله رافدًا هامًا للعمل الخيري في المجتمعات الإسلامية. ففي السودان الغربي، اشتهر نظام الوقف منذ القدم بين الملوك والعلماء، مثل الإمبراطور منسا موسى وأسكيا محمد، وكان وسيلة فعالة لدعم العمل الخيري بمختلف أنواعه. استُخدم الوقف لبناء المساجد والمدارس وتأمين الحاجات الأساسية للفئات الضعيفة. ويُنظر إلى الأوقاف كمصدر دائم ومستمر يعزز استدامة العمل الخيري ويضمن بقاء المؤسسات الخيرية لعقود طويلة.

الكلمات المفتاحية: الوقف، السودان الغربي، التنمية، العمل الخيري.

Abstract:

Waqf is considered one of the oldest Islamic systems known to Muslim societies since the dawn of Islam and serves as a primary source of support for charitable and educational institutions. Waqf plays an effective role in achieving sustainable development and enhancing social solidarity through funding educational institutions, providing healthcare, and supporting the poor and needy, making it a vital source for charitable work in Islamic societies.

In Western Sudan, the Waqf system has been renowned since ancient times

*المؤلف المرسل، البريد الإلكتروني: ammaiga68@gmail.com

kings and scholars, such as Emperor Mansa Musa and Askia Muhammad. It served as an effective means to support various types of charitable work. Waqf was used to build mosques, schools, and to provide for the basic needs of the underprivileged. Waqf is seen as a continuous and lasting source that enhances the sustainability of charitable work and ensures the longevity of charitable institutions for decades.

Keywords: Waqf, Western Sudan Development, Charitable work.

● مقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم تنزيله ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ...﴾ البقرة 267، ثم الصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القائل: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" وعلى آله وصحابه أجمعين.

أما بعد: فيعد نظام الوقف من النظم الاجتماعية الأصيلة المتشعبة الأبعاد والتي عرفها مبكرا المجتمع الإسلامي ومارسها بانتظام منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا. وقد أسهم نظام الوقف بدور فعال في دعم مسيرة الحضارة الإسلامية والمحافظة على أصالتها وتفردتها عبر العصور المختلفة.

كما يعتبر الوقف الإسلامي لونا من ألوان التكافل الاجتماعي، لم يسبق اليه نظام بل ولم يدانه نظام كذلك، وذلك أن هذه الشريعة السمحاء قد جاءت لتحقيق مصالح الناس في دينهم ودنياهم؛ لأنها بنيت على أصل عظيم وهو جلب المصالح ودرء المفاسد.

ولا شك أن الوقف الإسلامي يعد أحد التشريعات التي تحقق المصلحة للمجتمع الإسلامي؛ لذا ندب الإسلام المسلمين لفعله لما فيه من مصالح ومنافع عديدة تعود على المجتمع بالخير الكثير، والتي تتجلى في عدة أمور منها: خدمة الدعوة الإسلامية، ورعاية العلم وطلابه وحفظ مكانة العلماء، وصيانة المؤسسات الدينية والإسلامية، ومواساة الأراذل والأيتام والفقراء والمحتاجين...

وهكذا يظهر أن الأوقاف الإسلامية تمثل حصنا حصينا للمسلمين إن أحسن القيام عليها باستثمارها وتنمية مواردها، والبحث المستمر على انضمام الأغنياء إلى ركبها ببعض أموالهم تقربا إلى الله تعالى واقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ويعتبر السودان الغربي من أهم المناطق الإسلامية التي اهتم أهلها بالوقف الإسلامي لدعم العمل الخيري؛ ولذا ارتأينا أن نشارك في هذا الملتقى العلمي الذي بعنوان: منظومة الأوقاف في المذهب المالكي وأدوارها الحضارية والتنموية، بموضوع: "الأوقاف في السودان الغربي ودورها في تنمية العمل الخيري" وقد عالجننا الموضوع في مدخل ومبحثين وخاتمة.

في المدخل عرفنا أهم مفردات الموضوع وفي المبحث الأول تحدثنا عن الوقف في السودان الغربي وبيننا أهدافه وأنواعه وفي المبحث الثاني تحدثنا عن أهمية العمل الخيري في الإسلام، وبيننا أهدافه وذكرنا نماذج منها في غرب إفريقيا أو السودان الغربي ودور الوقف في تنميته. وفي الخاتمة سردنا أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا في الموضوع.

المدخل: التعريف بمفردات الموضوع:

1. الوقف

• تعريف الوقف لغة واصطلاحاً:

يقول ابن فارس: الواو والقاف والفاء: أصلٌ واحد يدلُّ على تمكُّثٍ في شيءٍ ثمَّ يقاس عليه...¹ والوَقْف مصدر قولك وَقَفْتُ الدابةَ ووقَفْتُ الكلمةَ وَقْفاً وهذا مُجَاوِزٌ فإذا كان لازماً قلت وَقَفْتُ وُقُوفاً وإذا وَقَفْتُ الرجلَ على كلمةٍ قلت وَقَفْتُهُ تَوْقِيفاً ووقَفَ الأرضَ على المساكينَ وَقْفاً حبسها ووقَفْتُ الدابةَ والأرضَ وكلَّ شيءٍ فأما أوقف في جميع ما تقدّم من الدواب والأرضين وغيرهما فهي لغة رديئة...². إذا الوقف في اللغة يطلق على عدة معان، منها:

- مكوث الأصل: ومنه يؤخذ الوقف على أنه ما كثر الأرض.
- الحبس عن التصرف والتسبيل: يقال وقفت الدابة وقفا حبستها أو تصدقت بها أو أبدتها. أي جعلتها في سبيل الله إلى الأبد، وجمعه أوقاف ووقوف.
- والحبس: المنع. وهو يدل على التأييد، يقال فلان وقف أرضه وقفا مؤبداً إذا جعلها حبساً لا تباع ولا توهب ولا تورث. والحبس جعل الشيء موقوفاً على التأبيد.

¹ يراجع: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ج6 ص: 135

² يراجع لسان العرب ج9 ص: 359

- الإمساك: وقف الدار على المساكين: إذا حبسه. والحبس: المنع والإمساك وهو ضد التخلية. والحبس من النخيل هو الموقوف في سبيل الله.¹
- وخلاصة القول أن الوقف له عدة معان في اللغة منها الإمساك والحبس والتسبيل. فهو حبس الشيء للأبد في سبيل الله، وإمساك عن الاستهلاك أو البيع أو سائر التصرفات. والمكث بالشيء عن كل ذلك.

• الوقف اصطلاحاً:

هناك عدة تعريفات للوقف اصطلاحاً منها:

- تعريف الإمام أبي زهرة في كتابه محاضرات في الوقف: "هو منع التصرف في رقة العين التي يمكن الانتفاع بها مع بقاء عينها، وجعل المنفعة لجهة من جهات الخير ابتداء وانتهاء".
- تعريف منذر قحف بقوله: "هو حبس المال للانتفاع المتكرر به أو بثمرته في وجه من وجوه البر العامة والخاصة".²

وخلاصة أن الحبس اصطلاحاً هو حبس العين وتسبيل ثمرتها. وبعبارة أخرى هو حبس عين للتصدق بثمرتها.³

2. السودان الغربي: هو منطقة جغرافية تاريخية تقع ما وراء الصحراء الكبرى تشمل دولاً عديدة من دول غرب أفريقيا. ويطلق عليها المؤرخون العرب أحياناً بلاد السودان، وتارة يطلقون عليها بلاد التكرور. وقد أدى السودان الغربي دوراً مهماً في تاريخ أفريقيا حيث كانت موطناً لبعض الحضارات في العالم مثل حضارة امبراطورية غانا ومالي وسنغاي وكانت المنطقة أيضاً مركزاً للتجارة والتجارة عبر الصحراء، ويشمل السودان الغربي حالياً العديد من الدول منها: السنغال ومالي وغينيا وغينيا بيساو وغامبيا وبوركينا فاسو والنيجر وساحل العاج وبنين وتوغو وغانا ...

3. تعريف التنمية:

التنمية لغة: من الإنماء، والإنماء لغة مصدر: أنمى، وهو من نمى ينمو نمياً ونماء. وفي اللغة نما ينمو نمواً: أي زاد وكثر. ونميت الشيء تنمية: جعلته ينمو. فالإنماء والتنمية: فعل ما به يزيد الشيء ويكثر. يقال: نمى إنتاجه: زاده وكثره، رفع معدله. ونمى النّار: أشبع وقودها.

¹ يراجع: دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر مقالة منشورة في مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية المجلد السابع العدد الرابع السنة 2018/ 502-504 دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة: أحمد محمد عبد العظيم الجمل ص: 15 الطبعة الأولى 2007 مطبعة دار السلام - القاهرة

² دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر مقالة منشورة في مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية المجلد السابع العدد الرابع السنة 2018 ص: 505

³ يراجع: محاضرات في الوقف لأبي زهرة ص: 39

ونعى ذاكرته: أَنْعَشَهَا وَقَوَّاهَا¹ إذا التنمية لغة تعني الزيادة والرفع والإشباع والانعاش. التنمية اصطلاحاً لها عدة تعريفات منها:

- تحويل الموارد الطبيعية غير المستثمرة إلى موارد منتجة مثل استصلاح الأراضي الصحراوية أو البور، إنشاء صناعات جديدة "
- التنمية الاقتصادية: رفع مستوى الدخل القومي بزيادة الإنتاج وتحسين الإنتاجية
- التنمية المستمرة: التنمية التي تتوقّر لها مقوّمات ناجحة ثابتة تكفل لها الاستمرار.²

4. تعريف العمل:

العمل لغة: المهنة والفعل والجمع أعمال. عَمِلَ عَمَلًا وَأَعْمَلَهُ غَيْرُهُ وَاسْتَعْمَلَهُ وَاعْتَمَلَ الرَّجُلُ عَمَلًا بِنَفْسِهِ.³ تعريف العمل في الاقتصاد: هو المجهود الذي يبذله الإنسان للحصول على منفعة.⁴

5. تعريف الخير:

الخَيْرُ في اللغة ضد الشروجمعه خُيُور ... تقول منه خِرْتَ يا رجل فَأَنْتَ خَائِرٌ ... وخَارُهُ على صاحبه خَيْرًا وخَيْرَةً وخَيْرُهُ فَضْلُهُ ورجل خَيْرٌ وخَيْرٌ مشدد ومخفف وامرأة خَيْرَةٌ وخَيْرَةٌ والجمع أَخْيَارٌ وخِيَارٌ وقال تعالى ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ جمع خَيْرَةٍ وهي الفاضلة من كل شيء وقال الله تعالى ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنٌ ...﴾⁵ تعريف العمل الخيري: هو كل عمل يقدمه الإنسان لغيره في الدنيا سواء أكان واجبا أم تطوعا بقصد الإحسان والتقرب إلى الله تعالى.⁶

وبفهم من هذا التعريف أن العمل الخيري في الإسلام يشمل كل مجالات الحياة ولا يقتصر فقط على بني البشر بل يشمل الحيوانات وغيرها.

1. الوقف في السودان الغربي: مشروعيته وأهدافه وأنواعه

1.1 مشروعية الوقف في الإسلام:

سبق أن بينا في تعريف الوقف بأنه حبس العين وتسبيل ثمرتها، وقد شرعه الإسلام وندب إليه وجعله قرينة من القرب التي يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى، واعتبره صدقة جارية. اعتمدت مختلف

¹ يراجع معجم اللغة العربية المعاصرة ج 3 ص: 2289

² المرجع نفسه ج 3 ص: 2290

³ يراجع لسان العرب ج 11 ص: 474

⁴ يراجع: الأعمال الخيرية في الإسلام: مشروعيته آدابها تطبيقاتها: الدكتور عبد الله بن دغليب المرزوقي ص: 17 الطبعة الأولى

2010 منشورات فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض

⁵ يراجع لسان العرب ج 4 ص: 264/ مختار الصحاح للرازي ص: 194

⁶ الأعمال الخيرية في الإسلام ص: 26

صور العمل الخيري في العالم الإسلامي على نظامه كمصدر أساس لتمويلها. ويعد الوقف من أهم الأساليب المالية في النظام الإسلامي لتحقيق التنمية الشاملة للمجتمع. وشرعيته في الفقه الإسلامي ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع:

1- فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اِرْكَعُوا وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ

وَأَفْكُلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ... الحج

وقوله تعالى: ﴿لَنْ نَأْكُلَ الْبَرِّحَىٰ تُفْعَلُوا مِمَّا يُحِبُّونَ وَمَا تُفْعَلُونَ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ آل عمران

2- ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ

أَشْيَاءَ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ " ¹

وقوله صلى الله عليه وسلم: " أن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره

وولدا صالحا تركه. ومصحفا ورثه

أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته.

يلحقه من بعد موته " ²

وما أخرجه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: " أَصَابَ عُمَرُ أَرْضًا

بِخَيْرٍ فَأَتَى النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْرٍ لَمْ أُصِبْ

مَالًا قَطُّ هُوَ أَنَفْسُ عِنْدِي مِنْهُ فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ قَالَ " إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا " . قَالَ فَتَصَدَّقْ

بِهَا عُمَرُ أَنَّهُ لَا يَبَاعُ أَصْلُهَا وَلَا يُبْتَاعُ وَلَا يُورَثُ وَلَا يُوهَبُ. قَالَ فَتَصَدَّقْ عُمَرُ فِي الْفُقَرَاءِ وَفِي الْقُرْبَىٰ وَفِي الرِّقَابِ

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالضَّيْفِ لَا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِمَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ

مُتَمَوِّلٍ فِيهِ...» وغيرها من الأحاديث التي تصرح بالحث على عمل الخير.

3- أما الإجماع على مشروعية الوقف: فقد اجمع العلماء خلفا وسلفا من زمن الصحابة

الى الوقت الحاضر على مشروعية الوقف، ويؤكد هذا الأمر ما يروى عن الصحابي الجليل

ابن عبد الله: ما أعلم أحدا كان له مال من المهاجرين والانصار إلا حبس مالا من ماله

صدقة مؤبدة، لا تشتري أبدا ولا توهب ولا تورث. ⁴

¹ السنن الصغرى للبيهقي ج2 ص: 194 حديث رقم 2433 باب ما يلحق الميت بعد موته

² سنن ابن ماجه ج1 ص: 88 حديث رقم: 243 باب ثواب معلم الناس الخير

³ صحيح مسلم ج5 ص: 73 حديث رقم 4311 باب الوقف

⁴ يراجع: الشرح الكبير لابن قدامة ج6 ص: 241/ المجموع للنووي ج15 ص: 323 / مجلة الاجتهاد للدراسات القضائية ج7

ويروى عن جابر أنه لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له مقدرة إلا وقف وهذا اجماع منهم فان الذي قدر على الوقف منهم وقف واشتهر ذلك فلم ينكره أحد فكان ذلك اجماعاً.¹

2.1 الوقف في السودان الغربي :

إن الوقف باعتباره قربة من القرب التي يتقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، وباعتباره من أهم الأساليب المالية في النظام الإسلامي لتحقيق التنمية الشاملة للمجتمع فقد عرفه مجتمع السودان الغربي منذ قرون. ومما يستأنس به في هذا الصدد ما ذكره مؤرخو السودان الغربي في كتبهم:

ورد في تاريخ الفتاش لمحمود كعت أن أمير المؤمنين الحاج محمد أسكيا لما حج تصدق على الفقراء واشترى أراضي في الحرمين الشريفين وحبسها على الفقراء والعلماء وعلى الكعبة المشرفة وفي هذا يقول وهو يتحدث عن حج الحاج أسكيا محمد: "... وحج البيت في ذلك العام وتصدق على فقراء الحرمين بمائة ألف دينار ذهباً واشترى بمثلها جنانا وبيوتا وحبسها على الفقراء والعلماء والمساكين..."²

وفي هذا يقول أيضاً: "... وله خصائص ومناقب في حجه من ذلك اقبل عليه أهل الحرمين الشريفين واشترى في مكة الشريفة بقعة وبنائها داراً وحبس الدار على الكعبة الشريفة..."³

ويقول السعدي في تاريخ السودان في بيان ما قام به أسكيا الحاج في الحرمين الشريفين: "... فتصدق الأمير في الحرمين من ذلك المال بمائة ألف ذهباً واشترى جنانا في المدينة المشرفة وحبسها على أهل التكرور وهي معروفة هنالك..."⁴

ويقول السعدي أيضاً وهو يتحدث عن الفقيه الزاهد العلامة أبي القاسم التواتي الذي ابتداء قراءة الختمة في المصحف بعد صلاة الجمعة مع قراءة حرف واحد من العشرينيات في المسجد الجامع بتنبكت. "وحبس أمير المؤمنين أسكيا الحاج محمد تابوتا فيها ستين جزءاً من المصحف في ذلك الجامع لأجل تلك الختمة وبقيت تقرأ فيها إلى العام العشرين بعد ألف بدلت بأخرى حبسها الحاج علي بن سالم بن عبيدة المسراتي..."⁵

ولا شك أن هذه النصوص وغيرها التي لم نذكرها خوف الإطالة تؤكد على أن المجتمع السوداني عرف نظام الوقف وأهميته منذ ما اعتنقوا الإسلام ولذا اعطوه عناية بالغة وحرصوا على تطبيقه في حياتهم اليومية.

¹ يراجع الشرح الكبير لابن قدامة ج6، ص: 241

² تاريخ الفتاش: محمود كعت ص: 16

³ المصدر نفسه ص: 68

⁴ تاريخ السودان للسعدي ص: 73

⁵ تاريخ السودان للسعدي ص: 58

3.1 أهداف الوقف:

الوقف باعتبار عملاً من أعمال الخير والبر يحقق عدة أهداف منها:

1. فتح باب التقرب الى الله تعالى حيث يعد الوقف من الصدقات التي يتقرب بها العبد الى الله تعالى لتحصيل الأجر والثواب.
2. تحقيق روح التعاون والتكافل بين أبناء المجتمع الاسلامي عن طريق العناية بالفقراء والمحتاجين وتشجيع دور الأيتام والملاجئ وغيرها.
3. ايجاد موارد مالية دائمة وثابتة لمؤسسات العمل الخيري وترسيخ قيم التضامن وتفعيل التعاون بين أفراد المجتمع.
4. إثراء الحركة العلمية ودعمها من خلال إنشاء دور العلم والمدارس والمكتبات وطبع الكتب وتوزيعها.
5. تحقيق العائد العامة وتعزيز التنمية المستدامة من خلال استثمار الممتلكات الخاصة وإعادة استثمار العائدات في المشاريع والبرامج الخيرية.
6. توفير المساعدات للفقراء والمحتاجين من خلال تقديم الدعم المالي والمعيشي والتعليم والرعاية الصحية وغيرها من الخدمات الأساسية.
7. دعم المشاريع الاقتصادية المستدامة التي تعزز فرص العمل وتعزز النمو الاقتصادي في المجتمعات المحلية.
8. تحقيق العدالة الاجتماعية والتنمية المستدامة في المجتمعات وتوفير الدعم والمساعدات لأولئك الذين يحتاجون إليها.
9. تشجيع العمل الخير في المجتمع، ونشر الدعوة إلى الله تعالى من خلال إقامة دور العبادة؛ فأغلب المساجد والجامعات على مر التاريخ قامت على الأوقاف¹.

4.1 أنواع الوقف:

ينقسم الوقف إلى عدة أقسام حسب الاعتبارات: وسنكتفي هنا بذكر اعتبارين فقط

➤ باعتبار الغرض منه ينقسم إلى خيري وأهلي

¹ يراجع مجلة الاجتهاد للدراسات القضائية ج7 ص: 506 / الأوقاف في العصر الحديث كيف نوجهها لدعم الجامعات وتنمية مواردها (دراسة فقهية) د خالد بن علي بن محمد المشيقح. مقالة منشورة في الانترنت / الوقف وتنميته وخطورة اندثاره عن العمل الخيري: الأستاذ الدكتور: الناجي ملين ص: 9 وما بعدها

- **الوقف الأهلي:** هو ما جعل الاستحقاق فيه للواقف، ثم على أولاده أو على أولاده مباشرة، ثم لجهة بر لا تنقطع. وهذا النوع له سند من أوقاف الصحابة، ومن ذلك وقف الزبير بن العوام حيث جعل دوره على أبنائه لاتباع ولا تورث ولا توهب وقال: " لِلْمَرْدُودَةِ مِنْ بَنَاتِهِ أَنْ تَسْكُنَ غَيْرَ مُضَرَّةٍ وَلَا مُضَرِّ بِهَا فَإِنْ اسْتَعْنَتْ بِزَوْجٍ فَلَيْسَ لَهَا حَقٌّ..."¹

- **الوقف الخيري:** هو الذي يقصد به التصديق على وجوه البر العامة كالمدارس والآبار والمستشفيات والمساجد وغيرها مما يؤدي إلى النفع العام. ومن هذا النوع ما وقفه أمير المؤمنين الحاج أسكيا لما حج على فقراء الحرمين وعلى العلماء وعلى الكعبة المشرفة.²

➤ باعتبار محله ينقسم إلى عقار ومنقول

- **العقار:** يعني الأراضي والدور والحوانيت وغيرها مما لا يمكن نقله أو حمله مثل الأراضي التي اشتراها أسكيا الحاج في الحرمين وحبسها على حجاج السودان الغربي، والجنان التي اشتراها وحبسها على الكعبة المشرفة.³

- **المنقول:** يعني ما يمكن حمله ونقله إلى مكان كالسلاح والثياب والدواب وغيرها مما يمكن نقله، ويدخل في هذا النوع المصاحف التي أوقفها الحاج أسكيا محمد على المسجد الجامع بتبكت وما حبسه الحاج علي بن سالم المسراتي على المسجد الجامع بمدينة تنبكت.⁴

2. دور الوقف في تنمية الأعمال الخيرية في السودان الغربي:

سنحاول أن نبين في هذا المبحث دور الوقف في تنمية الأعمال الخيرية، لكن قبل ذلك سنذكر مشروعيته وحاجة الناس إليه وأهدافه ثم نرجع على ذكر نماذج منه في السودان الغربي.

1.2 مشروعية العمل الخيري في الإسلام:

سبق أن بينا أن العمل الخيري هو كل معروف يبذله الإنسان لغيره في الدنيا سواء أكان واجبا أم تطوعا بقصد الإحسان والتقرب إلى الله تعالى.

¹ صحيح البخاري ج 2 ص: 637 حديث رقم: باب إذا وقف أرضا أو بثرا واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين/ أثر الوقف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية مع دراسة تطبيقية للوقف في اليمن ص: 12 رسالة ماجستير مقدمة في جامعة أم القرى أعدها الطالب عبد العزيز علوان سعيد عبده تحت إشراف د عبد الله مصلح الثمالي ود محمد أمين اللبايد عام 1997

² يراجع: تاريخ الفتاش لمحمود كعت ص: 16، 68/ تاريخ السودان للسعدي ص: 73/ فقه الوقف في الإسلام: الصديق محمد الضير بحث قدم في الندوة العالمية لتنمية الأوقاف في السودان.

³ يراجع: تاريخ الفتاش لمحمود كعت ص: 68/ تاريخ السودان للسعدي ص: 73/ الوقف وتنميته وخطورة اندثاره على العمل الخيري: الأستاذ الدكتور الناجي لمن ص: 21 وما بعدها.

⁴ يراجع: تاريخ السودان للسعدي ص: 58/ أثر الوقف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية مع دراسة تطبيقية للوقف في اليمن ص: 12-18

وبذل المعروف والإحسان إلى الآخرين من خير ما يتقرب به العبد إلى ربه؛ ولهذا اهتم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالعمل الخيري أيما اهتمام، ووضعوا له المنهج الكفيل بتحقيقه. وتعتمد مشروعية العمل الخيري في الإسلام على أصل الكتاب والسنة، وتتجلى في الآيات والأحاديث التي تحث على فعل الخير، والتي ورد فيها لفظ التطوع، والآيات والأحاديث التي تأمر بالإنفاق والإحسان على بعض الأصناف.

فمن الآيات التي تدل على مشروعية العمل الخيري في الإسلام قوله تعالى:

﴿وَلِكُلِّ وُجْهٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ١٤٨﴾ البقرة، ووجه الدلالة أن الله تبارك وتعالى أمر في هذه الآية بالمبادرة إلى فعل الخيرات والأمر للوجوب إلا إذا صرفته قرينة. قال الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ أي: قد بينت لكم أيها المؤمنون الحق،... فبادروا بالأعمال الصالحة، شكراً لربكم، وتزودوا في دنياكم لأخركم، فإني قد بينت لكم سبل النجاة، فلا عذر لکم في التفریط...¹

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَصْفَاءَ وَالْمُرُوءَةَ مِنْ سَعْيِ اللَّهِ فَمَنْ حَاجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ

بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ البقرة

وقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّهِ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ

السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٢١٥﴾ البقرة، وغيرها من الآيات التي تدعو إلى فعل الخير والإنفاق والإحسان إلى العباد والخلائق بصفة عامة.

ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ"² وجه الدلالة أن الحديث عام، كما قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: "... دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَفْعَلُهُ الْمَرْءُ أَوْ يَقُولُهُ مِنَ الْخَيْرِ يُكْتَبُ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ..."³

وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ ..."⁴

¹ تفسير الطبري ج 3 ص: 196

² صحيح البخاري ج 15 ص: 210 حديث رقم 6021 باب كل معروف صدقة، كتاب الأدب

³ فتح الباري ج 17 ص: 165 / الأعمال الخيرية في الإسلام

⁴ صحيح مسلم ج 8 ص: 71 حديث رقم: 7028 باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، كتاب الذكر

قال الإمام النووي في فوائد هذا الحديث: "... وَفِيهِ: فَضْلُ قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُسْلِمِينَ، وَنَفْعُهُمْ بِمَا تَسَّرَ مِنْ عِلْمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ مُعَاوَنَةٍ أَوْ إِشَارَةٍ بِمَصْلَحَةٍ أَوْ نَصِيحَةٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفَضْلُ السَّتْرِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ...، وَفَضْلُ إِنْظَارِ الْمُعْسِرِ..."¹

إن هذه الأحاديث وغيرها الواردة في فضل الأعمال الخيرية المتنوعة في المجالات المختلفة من أنواع البر والصلة والإحسان إلى الخلق، والتي لم نذكرها خوف الإطالة تؤكد على مشروعية العمل الخيري في الإسلام. ولا شك في أن ما سبق ذكره يؤكد على أن القرآن الكريم والسنة النبوية اهتما بالعمل الخيري، وجعللا كثيرا من أبوابه في جملة شعب الإيمان، كما جعللا العمل المطلوب من المسلم مقسما على ثلاث مراتب تدور بين الالتزام والالتزام وهي كما يلي:

- مرتبة فرض عين: هذه المرتبة تحقق الحد الأدنى للعمل الإنساني الخيري في حياة المسلم، ويدخل في هذا الإطار المستوى الشخصي للأسرة، الأمر الذي يدل على أن بذرة العمل الخيري التطوعي الإنساني تبدأ من داخل الأسرة.
- مرتبة فرض الكفاية: وهذه المرتبة هي انتقال من إطار الأسرة الضيق إلى إطار المجتمع الواسع بحكم عام، يتعلق وجوبه الكفائي بأفراد المجتمع جميعا.
- وهذا الأمر يمثل الحد الأدنى الواجب للمجتمع بكامله، ووجه البر فيه أن يقوم بعض أفراد المجتمع ليؤدوا الواجب عن بقية أفراد المجتمع حتى تحقق الحاجة بأداء الواجب ويسقط الإثم بامتنال الأمر الملتزم.
- مرتبة النفل العام: وهذه المرتبة أوسع أبواب العمل الإنساني الخيري حيث يتسابق فيه المسلمون كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾ (26) المطففين

وبهذا المنهج الفريد الذي سطره الإسلام يضمن المجتمع توفر الحد الأدنى لاحتياجاته عن طريق التزام أفراد فيه بهذا الحد الأدنى المتمثل في الفرائض والواجبات الفردية والكفائية. ثم أنه إذا التزم أفراد المجتمع بالمقومات التي تؤهل الفرد للبذل والإقدام في أعمال الخير دخل في أبواب النفل التي تفتح له آفاق الخير كله.²

2.2 حاجة الناس إلى الأعمال الخيرية:

إن الترابط الاجتماعي ظاهرة طبعت في النفس البشرية إذ لا يمكن العيش بدونها فالكل محتاج إلى الكل والإنسان دائما في حاجة إلى أخيه الإنسان ليتمكن من تلبية حاجاته وبدون هذا الترابط يصعب العيش؛ ولهذا قيل الإنسان مدني بطبعه.

¹ شرح النووي على مسلم ج9 ص: 63

² يراجع: الأعمال الخيرية في الإسلام ص: 71

فالإنسان بفطرته يرتبط بغيره برباط التعاون المتبادل، والضرورة داعية إلى استعانة بعضهم ببعض ولهذا يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (32) الزخرف

وفكرة العمل الإنساني الخيري كانت ناتجة عن فكرة التعاون المتبادل التي لها أواصر وثيقة في التشريع الإسلامي الذي أرسى قواعد ثابتة إزاء الأخوة البشرية والعدل الاجتماعي والكرامة الإنسانية والالتزام الأخلاقي. ويمكن إيجاز بعض أسباب حاجة المجتمعات البشرية للأعمال الإنسانية الخيرية فيما يلي:

1. الخلافات والمنازعات:

منذ أن خلق الله العالم ونزل فيه الإنسان تجتاحه كثير من المشكلات والخلافات والمنازعات والمآسي والكوارث والحروب والمجاعات مخلفة وراءها العديد من القتلى والجرحى والمرضى والأرامل والفقراء والمساكين والمحتاجين... الأمر الذي يتطلب من المجتمع البشري أو الدول والمنظمات والجمعيات أن تهب لنجدة المنكوبين وتسارع في ابذل والعطاء والكفالة والرعاية.

2. توالي الأحداث في العالم:

تتوالى الأحداث في العالم يوما بعد يوم وتزداد مأسها وآلام الإنسانية في كثير من الدول نتيجة الظلم الأمر الذي يتطلب الوقوف مع المظلوم وردع الظالم وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج.

3. الحروب الأهلية: إن وجود النزعات والخلافات بين أفراد المجتمع أو بين الدول أو القبائل

تؤدي إلى حروب أهلية دموية أحيانا يذهب ضحيتها خلق كثير حيث لا يميز المقاتلون بين الأهداف العسكرية وبين الأهداف المدنية أو بين المحاربين والمدنيين مما يجعلها حربا ضروسا وحشية تذهب بالأخضر واليابس، كما تؤدي هذه الحروب الأهلية إلى ارتكاب مجازر جماعية وارتكاب جرائم أخلاقية لا حدود لها.

ولا شك أن ضحايا هذه الحروب كثيرة وآثارها مدمرة؛ ولهذا لا بد من مساعدة هؤلاء الضحايا واغاثتهم وكفالة اليتامى منهم وإعمار ديارهم وإصلاح ممتلكاتهم.

4. ظاهرة الفيضانات: تؤدي الفيضانات التي تسببها كثرة هطول الأمطار على المناطق النهرية

في بعض المناطق من العالم إلى حدوث أضرار مادية وبشرية كبيرة حيث تؤدي إلى تدمير شامل للحرث والزرع وربما النسل وتشريد آلاف من ديارهم وتذهب بمصادر كسبهم وتدعهم بلا مأوى الأمر الذي يستدعي المبادرة إلى إغاثتهم وإعانتهم، وتأمين ضرورياتهم من السكن والغذاء والدواء والعلاج...

5. كثرة الزلازل المدمرة: تحدث أحيانا في بعض المناطق في العالم زلازل مدمرة فتصبح هذه

المناطق منكوبة تحتاج إلى معونات عاجلة لمساعدة الناجين من آثارها، وتأمين المأوى

والغذاء والدواء لهم، وإنقاذ من يحتاج منهم إلى انقاذ وعلاج ومعونات عاجلة لإعادة الإعمار وإزالة آثار الدمار.

6. **ظاهرة الفقر:** الفقر آفة خطيرة ومشكلة عالمية صاحبت المجتمعات البشرية منذ أزمنة بعيدة له آثاره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية على الفرد والمجتمع والدولة وظاهرة انتشار الفقر من أسباب ارتكاب الجرائم واحتراف الرذائل وحدوث بعض الاضطرابات النفسية والعقلية والتلاعب بأمن المجتمع وسلامته واستقراره.

7. **ظاهرة الجفاف:** من ابتلاء الله سبحانه وتعالى لبعض المناطق أو المجتمع أن يبتليهم بالقحط والجفاف بسبب شح الأمطار أو امتناع نزولها من السماء، الأمر الذي يؤدي إلى المجاعة حيث ينعدم الموارد الطبيعية ويقضي على الأخضر واليابس ويحصل بسببه الجذب والقحط فهلك الزرع والنسل¹.

ولا شك في ان كل ما ذكرنا من الأسباب يؤكد على أن الإنسان في أمس الحاجة إلى الأعمال الخيرية لتجاوز هذه العقبات، وأن معالجة هذه الأسباب تحتاج إلى فعل الخير ومد يد المساعدة للمتضررين وهذا لا يتم إلا عن طريق وجود الأوقاف الإسلامية وغيرها من أعمال البر التي حث عليها الدين الإسلامي.

3.2 أهداف الأعمال الخيرية:

يعتبر العمل الإنساني الخيري ظاهرة اجتماعية إيجابية تمثل سلوكاً حضارياً ترتقي به المجتمعات والأمم، وهو مدرسة خيرية تطوعية ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بكل معاني الخير والعمل الصالح. ونظراً إلى تعقد العلاقات الاجتماعية في الوقت الراهن أصبح وجود المؤسسات الراعية للأعمال الخيرية ضرورة شرعية لا غنى عنها لأي مجتمع لما تسهم به في بناء وتماسك المجتمعات ودفع لعجلة التنمية، ومثالاً تطبيقياً عملياً لمبدأ التكافل الاجتماعي الذي حث عليه الإسلام. وللعمل الخيري في الإسلام أهداف كثيرة ونبيلة منها:

1. **طلب مرضاة الله تعالى ومحبته:** فكل عمل خيري فيه نفع فإن المسلم يقوم به لنيل مرضاة الله تعالى سبحانه وتعالى. فالمؤمن الذي يقدم ما يستطيع من أعمال صالحة ويؤثر ما عند الله على هذه الدنيا الفانية، ويحسن فيها العمل فإنه ينال محبته ورضاه والفوز بجنته يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا⁽¹⁰⁷⁾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا

جُزَاً⁽¹⁰⁸⁾ ﴿الكهف﴾

¹ - إراجع: الأعمال الخيرية في الإسلام ص: 37-43

2. التعاون على البر والتقوى: إن من أهداف العمل الإنساني الخيري في الإسلام إيجاد التعاون بين المسلمين على البر والتقوى تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾² المائدة

ويعتبر مبدأ التعاون على البر والتقوى من المبادئ الأساسية التي أسهمت في بناء الأمة على مدار التاريخ والتي بدونها يصعب تحقيق كثير من الأمور: فالمجتمع فيها الغني والفقير والعالم والجاهل والقوي والضعيف وغيرهم وهؤلاء بتعاونهم ومساعدة كل منهم غيره يحقق النفع العظيم.¹

3. نصرة الإسلام والمسلمين: إن الأمة الإسلامية أمة تكاتف وتراحم تأسست من أيامها الأولى على المحبة. والأخوة في الله تفرض على كل مسلم نصرة أخيه المسلم، فكان لهذه المحبة وهذا الترابط دور بارز في تماسك الأمة وثباتها في وجه الأعداء.

ومن أعظم الأعمال الخيرية الصالحة تلك التي تحقق الأخوة الإسلامية وينصر فيها المسلم أخاه المسلم ويرفع عنه الظلم. ويقول صلى الله عليه وسلم: "أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"²

وهذا يعني أن ترك المسلم أخاه المسلم يتعرض لأنواع الفتن دون أن يقف معه في محنته فيه ضرر كبير على الجميع؛ ولذا نجد أن أخوة الدين تفرض على كل مسلم ألا يتخلى عن أخيه المسلم، بل عليه أن يساعده بكل ما يستطيع.

4. تنمية المجتمع وسد حاجاته: إن العمل الإنساني الخيري له دور فاعل في تنمية المجتمع وسد حاجاته بتقديم خدمات تعليمية مساعدة وتطويرية، وفتح آفاق حديثة للرقى، واعطاء أمثلة ونماذج للتضامن الاجتماعي كما يؤدي إلى تخفيف العبء الاقتصادي والاجتماعي على الدولة، ويشجع روح التعاون بين المؤسسات المجتمعية، ويزيد أواصر الأخوة والمحبة بين الأفراد؛ ولهذا يجب تفعيل العمل الإنساني الخيري الذي يسهم في تنمية واقع الناس.
5. تدريب أفراد المجتمع على التفاعل الاجتماعي: إن مشاركة أفراد المجتمع في العمل الخيري يؤدي إلى اكتساب بعض المهارات مثل مهارة التفاعل مع الآخرين، وتكوين العلاقات الاجتماعية، وحل بعض المشكلات، والشعور بالرضا عن النفس، وترويض النفس على حب الآخرين ونكران الذات، والفهم الحقيقي لمتطلبات وظروف الحياة والمجتمع.³

¹ يراجع: الأعمال الخيرية في الإسلام ص: 29

² صحيح البخاري ج 6 ص: 221 حديث رقم: 2443 باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً

³ يراجع: الأعمال الخيرية في الإسلام ص: 28-34

4.2 نماذج من الأعمال الخيرية في السودان الغربي:

يعتبر الأعمال الخيرية من أعظم العبادات التي يتقرب بها المسلم إلى الله تعالى ويسعى من خلالها إلى نشر الخير في المجتمع ومساعدة المحتاجين والفقراء؛ ولهذا اهتم بها المجتمع السوداني منذ قرون. وقد ذكر المؤرخون في كتبهم نماذج كثيرة من أعمال البر والإحسان التي يقوم بها بعض افراد المجتمع لمواساة الفقراء والمحتاجين ومن ذلك ما ذكر:

1. أن منسا موسى امبراطور أمبراطورية مالي لما حج البيت تصدق على الفقراء بالحرمين الشريفة بعشرين ألف مثقال ذهباً.¹
2. أن أسكيا الحاج لما زار الحرمين تصدق على الفقراء والعلماء في الحرمين ما يقرب مائة ألف دينار ذهباً.²
3. أن مسجد سنكري بتنبيكت بنتها امرأة أغلالية ذات مال وتبرع به على المسلمين في المدينة.³
4. أن أسكيا الحاج أهدى للشريف أحمد الصقلي مائة ألف دينار وخمسمائة خادم ومائة أبل ضيافة له لما زار السودان الغربي.⁴
5. أن أسكيا داود اشترى القاموس بثمانين مثقالاً ثم أهده لأحد طلبة العلم.⁵
6. أن الفقيه مودب محمد الكابري يتصدق على الفقراء والمساكين في كل مناسبة دينية ألف مثقال ذهباً.⁶
7. أن القاضي السيد علي الجزولي يتصدق على الفقراء والمساكين في كل رمضان خمسمائة مثقال ذهباً.⁷
8. أن الفقيه الصالح محمد حاسر الرأس تصدق بجميع ماله على الفقراء، واشترى كثيراً من الممالك وأعتقهم لوجه الله تعالى والدار الآخرة...⁸

¹ يراجع تاريخ السودان للسعدي ص: 7

² يراجع تاريخ الفتاش ص: 16، 68/ تاريخ السودان للسعدي 73

³ يراجع: تاريخ السودان للسعدي ص: 68

⁴ يراجع تاريخ الفتاش ص: 18

⁵ يراجع: المرجع نفسه ص: 108

⁶ يراجع: تاريخ السودان للسعدي ص: 47

⁷ يراجع: المرجع نفسه ص: 60-61

⁸ يراجع: المرجع نفسه ص: 52/ أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية للعلامة يوسف القرضاوي

ص: 51 وما بعدها.

هذه بعض النماذج التي تدل على أن فعل أعمال الخير متجذر في المجتمع السوداني منذ قرون استجابة لنصوص الكتاب والسنة التي تحث على ذلك وابتغاء لوجه الله تعالى ورضوانه. ولا شك أن هذا الفعل يسهم في بناء المجتمع السوداني وجعله مجتمعاً متماسكاً ومتراحماً، وينشر قيم التكافل والتضامن بين أفراد المجتمع، كما أن هذا الفعل يسهم في تربية المسلم على الرحمة والإنسانية ويجعله يشعر بالآلام الآخرين، ويسعى لمساعدتهم.

5.2 دور الوقف في تنمية الأعمال الخيرية:

إن الوقف الإسلامي له دور كبير في تنمية أعمال البر والخير حيث يسهم في توفير مصدر مالي ثابت للأعمال الخيرية، ويساعد على تعزيز مشاركة الأفراد والمجتمعات في الأعمال الخيرية، ويسهم كذلك في توسيع نطاق الأعمال الخيرية ليشمل جميع المجالات التي تخدم المجتمع مثل المشاريع التعليمية والصحية والاجتماعية والانمائية، الأمر الذي يسهم في تحسين الحياة للأفراد والمجتمعات. ويتجلى اسهام الوقف في تنمية الأعمال الخيرية في عدم أمور منها:

1. إيجاد مصدر مالي قار وثابت ومستدام للمنظمات والجمعيات الخيرية:

إن وجود نظام الوقف يسهم في توفير مصدر مالي قار للأعمال الخيرية وذلك من خلال استغلال ريع الوقف في القيام بمشاريع خيرية مختلفة في مجالات عدة، كما يسهم في استمرار عمليات المنظمات والجمعيات الخيرية في المجتمعات سنوات عديدة.

2. الإسهام في توعية أفراد المجتمع وإرشادهم وتصحيح عقائدهم:

إن وجود ريع الوقف يمكن أن يسهم في انتداب فئة من أهل العلم لتوعية أفراد المجتمع وتصحيح عقائدهم.

وتوعية المجتمع وإرشادهم من أهم المهمات وأوجب الواجبات، وفي مقدمتها الدعوة إلى الله وإرشاد الخلق وهدايتهم وهو أصل دعوة الرسل الذين لم يطلبوا من الناس عليه أجرة.

ويهدف هذا العمل إلى تصحيح وتقديم عقيدة المسلمين وأخلاقهم وسلوكهم وفق المفهوم الصحيح لأحكام الإسلام الحنيف بما يحصنهم من فتن الأفكار الهدامة المادية واللاحادية والاباحية وغيرها ويبين لهم الطريق الصحيح لإصلاح دينهم ودنياهم.

ولا شك أن وجود مؤسسات الوقف في المجتمع يسهم في تعزيز ومساعدة القائمين بهذا العمل الشريف الذي يعتبر من مهمات الأنبياء والرسل وهو تشريف وتكليف.

3. دعم المشاريع التعليمية وتطويرها:

لقد حرص الإسلام على القضاء على الجهل وتشجيع العلماء، وطلبة العلم ليرتقي المجتمع إلى أعلى المستويات من الوعي والادراك وينتقل بذلك من عالم الجهل والتخلف إلى عالم العلم والتقدم. ولقد كثرت الآيات والأحاديث التي تحث التعليم والتعلم وإخلاص العمل فيه لله تعالى، منها:

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۖ﴾ (9) الزمر

وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۖ﴾ (11) المجادلة

وقوله صلى الله عليه وسلم: «.. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ..»¹ إن هذه النصوص وغيرها التي لم نسردها خوف الإطالة جعلت المجتمع الإسلامي يهتم بالعلم ويوقف أراضي وعقارات وأموالا تنفق ربعها على المؤسسات العلمية ليستمر سنوات وقرون، يستفيد منها أبناء المسلمين وغيرهم.

4. إنشاء دور العبادة وترميمها: أسهم نظام الوقف في بناء المساجد والكتاتيب وترميمها لحاجة الناس إليها في العبادة والتثقيف والتعليم، كما أدى إلى إنشاء العديد من المؤسسات الخيرية في مختلف المجالات التي أسهمت في خدمة المجتمع وتنمية أفراده.

5. تعزيز مشاركة الأفراد والمجتمعات في الأعمال الخيرية: أسهم نظام الوقف في تعزيز مشاركة الأفراد والمجتمعات في الأعمال الخيرية من خلال تشجيع الأفراد والجمعيات على التبرع بأموالهم وغيرها من الممتلكات وجعلها وقفا لوجه الله تعالى الأمر الذي يؤدي إلى نشر روح التكافل والتضامن الاجتماعي.

6. دعم الشؤون المجتمعية وتحسينها:

اهتم الإسلام بجميع أفراد المجتمع وحدد لكل فرد فيه واجبات مختلفة وكفل له حقوقا. وبما أن مستوى أفراد المجتمع تختلف من حيث القدرة الجسدية أو المادية فإن الإسلام راعى ذلك وأولى الضعفاء اهتماما بالغا فرغب في رعايتهم بالثواب العظيم وتناول صورا معينة للمساعدة التي تقدم للفرد في حالات العجز بما يضمن كفالة المجتمع المسلم لأفراده.

ومن الأساليب التي قعدها الإسلام لتخفيف معاناة أصحاب الحاجات نظام الوقف الذي يضمن استمرارية رعاية الأيتام والأرامل والمرضى وغيرهم من ذوي الحاجات والعاهات، ويسهم في تخفيف معاناتهم، وتحسين ظروف عيشهم.

7. توسيع نطاق الأعمال الخيرية: إن نظام الوقف يؤدي إلى توسيع نطاق الأمر الخيرية ليشمل جميع مجالات الحياة التي تخدم المجتمع وذلك من خلال إمكانية صرف ربع الأوقاف في أي وجه من وجوه البر والإحسان الأمر الذي يسهم في تحقيق التنمية الشاملة للمجتمع.

8. إغاثة المحتاجين والمنكوبين وتوفير المساعدات العاجلة لهم: يقصد بها الإغاثة المادية العاجلة التي تقدمها الدولة والمؤسسات للفقراء والمحتاجين والمشردين ومن أمت به جائحة

¹ - صحيح البخاري ج 1 ص: 71 حديث رقم: 67 باب العلم قبل القول والعمل

أو كارثة طبيعية أو بيئية كالجفاف أو الزلازل والفيضانات. فتبني نظام الوقف في الدول الإسلامية تسهل هذه العملية الإغاثية في أسرع وقت ممكن وتخفف العبء على الدول.¹

9. دعم المشاريع التنموية والاقتصادية: إن المشاريع التنموية والاقتصادية هي مشاريع تستهدف تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع، وتحقيق معدل النمو الاقتصادي من خلال زيادة الإنتاج والكفاءة الاقتصادية، وخلق فرص عمل جديد، وتقليل البطالة والفقر من خلال توفير الخدمات الأساسية كالتعليم والسكن والرعاية الصحية وغيرها وقد أسهم الوقف في دعم هذه المشاريع التنموية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمع.

ولا شك في أن النظر إلى ما سبق ذكره يؤكد على أن الوقف له دور كبير في تنمية العمل الخيري في العالم الإسلامي، وأنه للاستفادة من نظام الوقف واستمرار دعمه للعمل الخيري فلا بد من العمل على تطويره وتنظيمه وتوفير ضمانات لحمايته من الضياع ونشر الوعي بأهميته في المجتمع الإسلامي.

• الخاتمة:

بعد هذه الجولة القصيرة في رحاب الوقف ودوره في تنمية العمل الخيري نخلص إلى ما يلي:

1. أن الوقف هو حبس العين وتسبيل ثمرتها ابتغاء رضوان الله تعالى.
2. أن العمل الخيري هو كل معروف يقدمه الإنسان لغيره في الدنيا بقصد الإحسان والتقرب إلى الله تعالى.
3. أن الوقف من أهم الأساليب المالية في النظام الإسلامي لتحقيق التنمية الشاملة في المجتمع.
4. أن الرقي بنظام الوقف سيسهم في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمع وتعزيز التكافل الاجتماعي وتوفير حياة كريمة للمجتمع.
5. أن نظام الوقف أسهم في إنجاز العديد من المشاريع الخيرية على مر العصور.
6. أن نظام الوقف عرف في السودان الغربي منذ قرون، وأن المجتمع تفاعل معه فأنجزوا مشاريع خيرية عدة.
7. أن نظام الوقف في السودان الغربي أسهم في مساعدة العديد من طلبة العلم لمواصلة دراستهم، كما أدى إلى تحسين ظروف كثير من الفقراء والمحتاجين.
8. أن الوقف له دور كبير في تنمية العمل الخيري في العالم الإسلامي عامة وفي السودان خاصة ويتجلى في عدة أمور منها:
- توفير موارد مالية قارة وثابتة لمؤسسات العمل الخيري، وتفعيل التعاون بين أفراد المجتمع.

¹ - يراجع: الأعمال الخيرية في الإسلام ص: 80-120

- تشجيع الحركة العلمية والثقافية ودعمها من خلال إنشاء دور العلم والمدارس.
 - الإسهام في إيجاد مصادر دخل مستدامة تمكن من تنفيذ مشاريع عديدة ومختلفة في مجالات مختلفة.
 - الإسهام في تحقيق روح التعاون والتكافل بين أبناء المجتمع الإسلامي عن طريق العناية بالفقراء والمحتاجين وتشجيع دور الأيتام والملاجئ وغيرها.
 - دعم المشاريع الاقتصادية والتنموية المستدامة التي تعزز فرص العمل والنمو الاقتصادي.
 - تشجيع العمل الخيري في المجتمع، ونشر الدعوة إلى الله تعالى من خلال إقامة دور العبادة.
 - الإسهام في تعزيز مشاركة الأفراد والمجتمعات في الأعمال الخيرية وتوسيع نطاقها.
9. أن الاستفادة من الوقف يتطلب منا تطويره وتعزيز دوره في تنمية العمل الخيري من خلال تشجيع الأفراد على الوقف ونشر الوعي بأهميته في المجتمع، وتطوير أساليب استثمار الوقف بما يضمن تحقيق عائد مالي ثابت ومستمر.
10. أن الوقف يعتبر عاملاً رئيساً في التضامن الاجتماعي وتحقيق تنمية مستدامة في المجتمعات.
- هذا بعض ما تيسر جمعه في هذا الموضوع فما كان صواباً فمن الله وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

● قائمة المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. أثر الوقف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية مع دراسة تطبيقية للوقف في اليمن رسالة ماجستير مقدمة في جامعة أم القرى أعدها الطالب عبد العزيز علوان سعيد عبده تحت إشراف د عبد الله مصلح الثمالي ود محمد أمين اللبابيد عام 1997.
3. أصول العمل الخيري في الإسلام في ضوء النصوص والمقاصد الشرعية: يوسف القرضاوي الطبعة الثانية 2008 دار الشروق – القاهرة
4. الأعمال الخيرية في الإسلام: مشروعاتها وآدابها تطبيقاتها: الدكتور عبد الله بن دغليب المرزوقي الطبعة الأولى 2010 منشورات فهرس مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض
5. الأوقاف في العصر الحديث كيف نوجهها لدعم الجامعات وتنمية مواردها (دراسة فقهية): د. خالد بن علي بن محمد المشيخ. مقالة منشورة في الانترنت
6. تاريخ السودان: عبد الرحمن السعدي اعتنى بطبعه السيد هوداس طبعة 1981 باريس
7. تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس: القاضي الفع محمود كعت، وقف على طبعه السيد هوداس. طبعة 1964 باريس.
8. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م الناشر: مؤسسة الرسالة.
9. دور الوقف في دعم المؤسسات الخيرية بالجزائر مقالة منشورة في مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية المجلد السابع العدد الرابع السنة 2018
10. دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة: أحمد محمد عبد العظيم الجمل الطبعة الأولى 2007 مطبعة دار السلام – القاهرة
11. سنن ابن ماجه تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار الفكر – بيروت بدون
12. سنن أبي داود، الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت
13. سنن الترمذي تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت بدون
14. السنن الصغرى للبيهقي المكتبة الشاملة
15. شرح النووي على صحيح مسلم الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، 1392
16. صحيح البخاري المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الطبعة: الأولى 1422 هـ الناشر: دار طوق النجاة.
17. صحيح مسلم الناشر: دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة. بيروت الطبعة بدون (المكتبة الشاملة)
18. فتح الباري لابن حجر (المكتبة الشاملة)
19. لسان العرب لابن منظور الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الأولى بدون
20. محاضرات في الوقف: أبو زهرة الطبعة الثانية 1971 دار الفكر العربي بدون

21. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي تحقيق محمود خاطر الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت الطبعة طبعة جديدة، 1415 - 1995
22. معجم اللغة العربية المعاصرة
23. معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر الطبعة 1979م.
24. الوقف في الجزائر، الواقع ومتطلبات تفعيل دوره التنموي: ط. دهيليس سمير ودأمر سعيد شعبان، مقالة منشورة في مجلة الاقتصاد والتنمية البشرية المجلد 11 العدد الأول.
25. الوقف وتنميته وخطورة اندثاره عن العمل الخيري: الأستاذ الدكتور الناجي لمين الطبعة الثانية 2014 دار الكلمة للنشر والتوزيع. القاهرة - مصر.